

ABSTRACT

Elision (Hadhf) in Arabic language is the omission of a part of a sentence or even a whole sentence due to a clue which indicates it. Elision is a kind of rhetorical brevity and it is a very significant chapter of rhetorical discussions. It leaves a deep impression on the readers or listeners from the perspective of meaning and sense of the statement. Looking from the angle of its elements, it is necessary for the speaker or the writer to know its essentials, objectives and types to make the speech comprehensive. If these three things are not regarded, the speech becomes worthless or rubbish. Consequently, the speech loses its beauty, attraction, and delicacy. The Holy Qur'an is the divine Speech whose similitude cannot be produced. The rhetorical elision in it is one dimension of its inimitability, and the contexts of its elision are many. No Muslim can disregard the understanding of elision if he wants to understand the Qur'an truly. It does not matter whether he is a commentator or a jurist etc. But how does the rhetorical elision affect the reader of the Qur'an in his true understanding of the Qur'an? And what is the relationship between rhetorical elision and the inimitability of the Qur'an? This paper explores for the answer of these questions.

الحذف البلاغي في اللغة العربية وصلته بإعجاز القرآن: دراسة تطبيقية

د. آصف محمود*

الحذف في اللغة العربية نوع من نوعي الإيجاز البلاغي و مبحث بلاغي ذو أهمية بالغة وله تأثير عميق على النفوس من جهة المعنى. وأما من جهة عناصره فيجب على المتكلم أن يعرف أدلته و أغراضه وأقسامه ليكون كلامه جامعا و مانعا. وإذا لم يراع هذه العناصر الثلاثة عامة و أدلة الحذف خاصة لصار كلامه إلى شيء مُستَرَكِب مُستَرَدَل ولزال عن الكلام الطلّوة والحسن والرقة. فلا بدّ من الدّلالة على ذلك المحذوف، فإن لم يكن هناك دلالة عليه فإنه يكون لغواً من الحديث، ولا يجوز الإعتماد عليه، و إذا دار الأمر بين الحذف وعدمه، كان الحمل على حذفه أولى ما لا يُخِلّ بالمعنى، ولو ظهر المحذوف لنقص أثر الكلام و نزل عن علو بلاغته.

والقرآن الحكيم كلام معجز والحذف البلاغي فيه جهة من جهات إعجازه لأن مواضع الحذف فيه كثيرة حتى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه زهاء ألف موضع^١ وكذلك ذكر مواضع الحذف في القرآن على ترتيب السور والآيات أكثر من ألفين وثلاثمائة وخمسين موضعاً^٢، ولا يستغني المسلم من رعاية الحذف في فهم القرآن الكريم في حال من الأحوال سواء كان مفسراً أو مجتهداً أو غيرهما.

فالحذف في اللغة العربية إسقاط جزء الكلام أو كله بوجود القرينة الدالة على المحذوف من البلغاء من عني بالحذف عناية خاصة و شبهه بالسحر في الأثر على السامع المتذوق فيقول: "إن الحذف باب دقيق المسلك، لطيف المآخذ، عجيب الأمر شبهه بالسحر و ذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة و تجحدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق و أتم ما تكون بيانا إذا لم تبين"^٣. والبعض الآخر يجعله لونا من شجاعة العربية^٤.

* محاضر اللغة العربية، كلية ايف جي، ايج، اسلام آباد

ولكن كيف يؤثر الحذف البلاغي في فهم القرآن فهما صحيحا و ما صلته بإعجاز القرآن الكريم؟ فهذا المقال يتناول بالبحث هذا السؤال اختصارا فيما يأتي، ولكنه من المناسب أن نرى معنى الحذف و مفهومه في اللغة العربية.

الحذف لغة: الحذف مصدر حذف يحذف كضرب يضرب وله معان عديدة، منها: القطف والقطع والرمي والضرب والإسقاط والتخفيف.

قال الفراهيدي: "الحذف: قطف الشيء من الطرف كما يحذف طرف ذنب الشاة^١". و قال ابن منظور: "حذف الشيء يحذفه حذفاً: قطعه من طرفه، الحَماح يحذف الشعر، من ذلك^٢". وقيل: "حذف الشيء إسقاطه، ومنه حذفت من شعري ومن ذنب الدابة، أخذت منه^٣". وهناك معان كثيرة أخرى للحذف لاداعي إلى ذكرها هنا، ومن بين كثرة المعاني للحذف فإن أقربها إلى ما يراد به في هذا الموضوع هو الإسقاط و القطع، و قد يقال: حذف الخطيب الكلام، أي: هذبه وصفاه من الفضول ومنه حذف الشعر إذ أخذت منه^٤.

الحذف اصطلاحاً: إننا نجد تعريفات كثيرة للحذف في كتب البلاغة و المعاجم ولكن نذكر بعضها بالإيجاز كما يلي:

أ: لقد عرّف أبو الحسن علي بن عيسى الرماني الحذف بقوله: " هو إسقاط كلمة للاجتراء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام^٥".

ب: وأما ضياء الدين بن الأثير فإنه عرّف الحذف بقوله: " هو ما يحذف منه أو الجملة، لدلالة فحوى الكلام على المحذوف^٦".

ج: وقال الزركشي في تعريف الحذف: " إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل^٧".

فاتضح لنا من هذه التعريفات أن المراد بالحذف إسقاط جزء الكلام أو كله بوجود القرينة الدالة على المحذوف، فتكثر المعاني في إيجاز الحذف مقابلاً لألفاظ، وإن لم توجد

قرينة على المحذوف فذلك الإيجاز إخلال في التعبير غير مقبول في الكلام كما في قول الشاعر:

عجبت لهم إذ يقتلون نفوسهم ---- و مقتلهم عند الوغي كان إعداراً

أي: هم يقتلون نفوسهم في السلم، ولكن فحوى الكلام لا يدل عليه.

وقال ابن الأثير في بيان أهمية القرينة في الحذف: "الأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف فإنه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب".

أدلة الحذف

من المعلوم أنه لا بد للحذف من دليل يدل عليه، والدليل الأكبر في هذا الصدد هو العقل. العقل دائماً يدل على الجزء المفقود من الكلام فأما المحذوف، فتعينه مبني على أدلة كثيرة ومنها كما يلي:

الدليل الحالي: وقد تكون الحالة المشاهدة دليلاً على المحذوف نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْنَاكُمْ قَالُوا خَيْرٌ﴾ أي: أنزل خيراً، فحذف من الآية الفعل الماضي لدلالة الحالة المشاهدة عليه.

الدليل الشرعي: تارة لا يمكن إدراك المحذوف بالعقل وحده وإن كان العقل يدل على الحذف من غير دلالة على تعيينه و يُسْتَفَادُ في تعيين المحذوف من دليل شرعي كما في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ الْمَيْتَةُ﴾ فحذف المضاف تقديره: تناولها. فعلم بالعقل حذف شيء، وأما تعيينه، وهو التناول، فمُسْتَفَادٌ مِنَ الشَّرْعِ.

الدليل العقلي: وتارة يدل العقل وحده على الحذف وعلى تعيين المحذوف، كما جا في القرآن: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَوَالْمَلَكُ صَفًّا﴾ أي: أمره، فالعقل لا يستحالة مجيء الرب جلَّ

وعلا، لأنه من سمات الحادث وهو متره عن التحيز والجسمية والعقل أيضاً دال على المحذوف بتعيينه وهو أمره^{٢٤}.

دلالة العادة: العادة تدل على تعيين المحذوف أحيانا فقط وتارة تدل على الحذف وتعيين المحذوف معاً كما قال الله تعالى حكاية عن المنافقين المتخلفين عن غزوة أحد: ﴿قَالُوا لَوْ عَلَّمُونا الْقِتَالَ لَتَبِعْنَاكُمْ﴾^{٢٥}، فظاهر الكلام يدل أنهم لا يعرفون الحرب والقتال، ولكن حالهم والمعروف من عاداتهم في القتال أنهم كانوا أحيروا الناس بالقتال وأكثر خيرة بالحرب، فلا بُدَّ إذاً أن يكون في الكلام حذف دل عليه حالهم وعادتهم فالمراد: مكانا صالحاً للقتال.

دلالة الشروع في الفعل: أحيانا يدل العقل على الحذف ويدل الشروع في الفعل على تعيين المحذوف وهو كما نقول لمن جاء إلينا: "أهلاً وسهلاً" أي: جئت أهلاً و حللت مكانا سهلاً^{٢٦}. فقواعد اللغة وهي قواعد عقلية تدل على أن يكون العامل محذوفاً فأما تقدير المحذوف فيدل عليه الشروع في الترحيب بالضيف.

دلالة اقتران الكلام بالفعل: أحيانا العقل يدل على الحذف، و اقتران الكلام بالفعل على تعيين المحذوف كما في قول العرب عند ما يَزْفُقْنَ العروس: "باليمن والبركة"^{٢٧}، فالعقل يدل على حذف متعلق الجار والمجرور و اقتران العبارة بالإعراس فعلاً يدل على تعيين المحذوف أي: أعزست باليمن والبركة.

دلالة التصريح به في مقام آخر: قد يكون التصريح بالمحذوف في موضع آخر دليلاً على تعيين المحذوف في موضع غيره وعدّه السيوطي من أقوى الدلائل^{٢٨}، وجاء باستشهاد قرآني عليه وهو كما في قوله تعالى: ﴿رَسُولُنا لِلَّهِ﴾^{٢٩}، أي: من عند الله، و يدل على هذا التعيين قول الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾^{٣٠}، فقد صرحت الآية بذكر المحذوف في هذا المقام صراحة ووضوحاً حتى لا تبقى حاجة إلى غيره في تعيين المحذوف.

أغراض الحذف

إن في أغراض الحذف أنواع كثيرة منها:

الاختصار والاحتراز: قد يُسبَّب الحذف مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث ببناء على الظاهر لدلالة القرينة عليه نحو قول القائل: "الهللُ والله"، فتقديره: هذا^{٢٤}، فحذف المبتدأ وإن كان ركنًا من الكلام استغناء عنه بقرينة شهادة الحال ولو ذكر لكان عبثًا.

التنبيه: وقد يُحذف تنبيهًا على تقاصر الزمان عن أن يأتي بالمحذوف ولو اشتغل بذكر المحذوف ليفضي إلى تفويت المهم، وهذا يُستفاد من باب التحذير والإغراء، كما في قوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾^{٢٥}، ففي هذه الآية اجتمع التحذير والإغراء، وأما الأول فتقديره: ذروا ناقة الله، أو احذروا عقرها وأما الثاني، فتقديره: الزموا سقياها^{٢٦}.

التفخيم والإعظام: من أغراض الحذف التفخيم والإعظام لما فيه من الإههام. وهو إذا يكون في تعداد المحذوف طول وسأمة فيحسن الحذف لقوة الدلالة عليه ويكتفى بدلالة الحال، وتترك النفس تذهب كل مذهب. ولهذا القصد يؤثر في المواضع التي يُراد بها التعجب والتهويل على النفوس ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ دُفُّوا عُلَىٰ النَّارِ﴾^{٢٧}، أي: لرأيت أمرًا فظيعًا، لا تكاد تحيط به العبارة^{٢٨}.

رعاية الفاصلة: أحيانًا يحذف المفعول للرعاية على الفاصلة نحو قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾^{٢٩}، فحذف الضمير للخطاب رعايةً لبقية الفواصل في السورة، إذ تقديره: ما ودَّعَكَ رَبُّكَ وما قلاك^{٣٠}، ولو ذكر الضمير لما رُعيت الفاصلة.

التخفيف: التخفيف أيضاً من أسباب الحذف لكثرة دورانه في الكلام نحو قوله تعالى حكاية عن عزيز مصر: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا﴾^{٣١}، فحذف حرف النداء في الآية تقديره: يا يوسف أعرض عن هذا^{٣٢}.

صيانة اللسان عنه تحقيراً: أحيانًا يُحذف ذكر المحذوف صيانة للسان عنه تحقيراً وتنقيراً، إذا المتكلم لا يجب أن يذكر اسم المحذوف من لسانه وبذلك يظهر احتقاره لمن حذف اسمه كما قال الله تعالى: ﴿صُمِّبْ كُفِّي﴾^{٣٣}، أي: هم أو المنافقون^{٣٤}.

تعينه: وأحيانًا يُحذف ذكر المحذوف لكونه مُعيناً للأغراض المختلفة ومنها:

أ - المتكلم يحذف ذكره في بعض الأحيان بكونه مُعَيَّنًا لغرض الإحتراز عن سوء الأدب أو لكونه لا يصلح لإله مثل: ﴿فَعَالِمَ أَرْيَضٍ﴾ و﴿ثُمَّ تَرَدُّوْا إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ الشَّهَادَةِ﴾.

ب - و أحيانا يُحذف ذكره لإدعاء التعيّن من المتكلم نحو قول قائل: "وهاب الألوفا"، أي: السلطان أو آخره.

ج - وقد يحذف المسند إليه لضيق المقام عن إطالة الكلام أو فوات فرصة كقول الصياد غزال، أي: هذا غزال.

د - أحيانا يحذفه المتكلم للإخفاء على غير المخاطبين الحاضرين كقوله: جاء، أي: زيد. الإنكار عند الحاجة: المتكلم يحذف المبتداء لتيسره الإنكار لدى الحاجة نحو قول قائل: "فاجر، فاسق" عند قيام القرينة على أن مراده "زيد" ليتمكن له لدى الحاجة أن يقول: ما أردتُ زيداً بل غيره. ولعل هذا الغرض ميزة كلام الناس دون كلام الخالق.

البيان بعد الإبهام: إذا وقع فعل المشيئة والإرادة شرطاً فإن الجواب يدل عليه و يبيّنه، لكنّه إنّما يُحذف ما لم يكن تعلق فعل المشيئة بالمفعول غريباً، نحو قوله تعالى: ﴿فَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُفًّا أَجْمَعِينَ﴾ إذ تقديره: لو شاء هدايتكم لهذاكم أجمعين، فإنه لما قيل لو شاء، علم السامع أن هناك شيئاً علقت المشيئة عليه لكنه مبهم فإذا جيء بجواب الشرط صار واضحاً.

حذف المفعول تعميماً واختصاراً: وقد يحذف المفعول على جهة التعميم والاختصار ولو ذكر بصيغة العموم لفات الاختصار كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ﴾، فحذف مفعول الدعاء في هذه الآية تعميماً واختصاراً، تقديره: جميع عباده.

حذف المفعول لاستهجانته: أحيانا يحذف المفعول لاستهجان ذكره كما ورد في قول عائشة رضي الله عنها: {مارأيتُ منه ولا رأيتُ مني} أي: العورة، فحذف مفعول الرؤية لكرهية ذكره ولاستهجانته.

فهذه بعض الأغراض المشهورة للأغراض المؤدية إلى الحذف، وقد عدلنا عن ذكر البقية الأخرى لأنها تُفهم و تُستخرج أقسامها من الأغراض المذكورة.

أقسام الحذف

وقد قُسم الحذف إلى أقسام عديدة منها كما سيأتي:

الاقطّاع: قد عرّف السيوطي هذا النوع ما يُسمّى بالاقطّاع وقال: " هو حذف بعض حروف الكلمة "، وأمّا الزركشي فقال: "الاقطّاع هو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي "، وإستشهد عليه بصدر شعر: "قُلْتُ لها قفي لَنَا قالت قافٍ " أي: وقفت، فاقترعت من جملة الكلمة على حرف منها قهاوناً بالحال وتناقلأ عن الإجابة و اعتماد المقال، ووَرَدَ حذف حرف أيضا في قوله تعالى: ﴿ذَلِكُنَّ أَولِئِمَّا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِنَّ صَبْرًا﴾، ففي هذه الآية حُذفت التاء من الفعل "لم تَسْتَطِيعْ" تخفيفاً، حيثُ ذكر نفس الفعل بدون التخفيف في الآية: ﴿سَأَبْنِئُكُمْ بَنَاتًا وَيَلْمَأَزَمَتَسْتَطِيعْ عَلَيْهِنَّ صَبْرًا﴾، إذ لم تُحذف التاء من الفعل "لَمْ تَسْتَطِيعْ" بغرض إحداث التناسب بين المبنى وما يدل عليه المعنى في سياق الآية في صورة بلاغية. وكذلك في قوله تعالى: ﴿فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا﴾، قد حُذفت التاء من الفعل "استطاعوا" تخفيفاً، حيثُ ذكر نفس الفعل بدون التخفيف في تلك الآية مرة ثانية و هو: "استطاعوا" بغرض إحداث التناسب بين المبنى وما يدل عليه المعنى في سياقه. ".

الاكتفاء: وهو ذكر شيئين بينهما تلازم و ارتباط، فيُكتفى بأحدهما عن الآخر، ومن الملحوظ أنه ليس المراد الاكتفاء المحض بل لأن فيه نكتة تقتضي الإقتصار عليه. وخير الأمثلة من هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا كُنُوسَ رَبِّكَ كُنُوسًا كَمَا الْحَرَّةُ﴾، فحذف الشيء الثاني تقديره: الرد. وأمثلة هذا القسم كثيرة في القرآن الكريم مثل: ﴿وَلَهُمَا سَكَنٌ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، أي: وما تحرك. ومنها قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾، أي: بالشهادة، لأن الإيمان بكلّ منهما واجب، ومنها أيضاً قوله تعالى: ﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾، أي: والمغرب.

الاستدلال لشيئين بفعل واحد: قديستدل بالفعل لشيئين وهو في الحقيقة لأحدهما باختلاف جنسهما، فيُضْمَرُ للآخر فعل يناسبه كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا دُعَاءُ النَّاسِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ لَهْدَمَتْ صَوَامِعُ بَيْعٍ وَصَلَوَاتُ﴾، ومعلوم أن الصلوات لا تُهْدَمُ، فالتقدير: لَهْدَمَتْ صوامع وبيع وَلَثَرَكْتُ صلوات.

الضمير والتمثيل: المراد من الضمير أن يُضْمَرَ من القول المجاور لبيان أحد جزئيه، كقول الفقيه: "النبيذ مُسْكِرٌ فهو حرام"، فإنه أطلق هذا القول نظراً إلى الحديث النبوي الذي به استدل على هذا الحكم، إلا أنه أضمره في قوله هذا، لغرض بلاغي وللعلم به {كل مسكر حرام}.

اقتضاء الكلام لشيئين و الاختصار على أحدهما: قد يقتضي الكلام لشيئين فيقتصر على أحدهما لأنه هو المقصود في الأصل، كقوله تعالى حكاية عن قول فرعون: ﴿قَالَ الْمَنْتَرُ بَكْمَا يَا مُوسَى﴾، ولم يقل: وهارون لأنه كان مقصوده موسى - عليه السلام - في الخطاب.

أن يُذَكَّر شيان و يعود الضمير إلى أحدهما: قد يُذَكَّر شيان ثم يعود الضمير إلى أحدهما دون الآخر، كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا﴾، وقال الزمخشري أن في الآية حذف، تقديره: "وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهَا، أَوْ لَهْواً انْفَضُّوا إِلَيْهِ: فحذف أحدهما لدلالة المذكور عليه".

الاحتباك: من اللفظ أنواع الحذف و أبدعها الاحتباك، وهو أن يحذف من الأوّل ما أثبت نظيره في الثاني، و يُحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأوّل، و من الملحوظ أن هذا النوع لم يطلع عليه بهذا الاسم إلا قليلاً من علماء البلاغة، و منهم الزركشي الذي سَمَّاهُ باسم الحذف المقابلي وذكر أمثله من القرآن الكريم، ثم فصله السيوطي

تفصيلاً، وهو أن يجتمع في الكلام متقابلان، فيُحذف من كُلِّ واحد منهما مقابله لدلالة الآخر عليه، والأمثلة من هذا النوع كثيرة في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾، إِنَّ فِي الْآيَةِ جملتان؛ حُذِفَ نصف كل واحدةٍ منهما اكتفاءً بنصف الأخرى. وأصل الكلام: أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ مَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ أَهْدَىٰ مَّن يَمْشِي مُكِبًّا.

الاختزال: الاختزال نوع من الحذف ولكنه ليس واحداً تماماً سبق، بل له أقسام عديدة، لأن المحذوف إما يكون كلمة من اسمٍ أو فعلٍ أو حرفٍ، وإما أن يكون جملة أو أكثر من جملة. وإذا كان المحذوف إسمًا فإنه يُنقسم إلى عدة أقسام بعضها فيما يلي: إما أن يكون بحذف المضاف أو مضاف إليه أو المبتدأ أو الموصوف أو الصفة أو المعطوف عليه أو المعطوف مع العاطف أو المبدل منه أو الفاعل أو المفعول أو الحال أو المنادى أو العائد أو الموصول.

وإذا كان المحذوف حرفاً فذلك أيضاً يُنقسم إلى عدة إقسام نحو: حذف الجار أو العاطف أو فاء الجواب أو حرف النداء أو حذف قد (إذا وقع حالاً) أو حذف (لا) النافية أو حذف لام الأمر أو حذف نون الجمع وغيرها من حذف الحروف.

وإذا كان المحذوف جملة فتتقسم الجملة إلى عدة إقسام منها: حذف أداة الشرط وفعله، وحذف جواب الشرط وحذف الأجوبة، وحذف جواب القسم وغير ذلك، وكذلك الأشكال الكثيرة من حذف الجمل.

فهذه بعض أنواع الحذف مهمة ووجدت في الكتب المختلفة. وقد ذكر الحذف فيما مضى مفصلاً مع أغراضه وأنواعه وأدلته لأنه ورد في التنزيل كثيراً بأنواع مختلفة كحذف الجمل وحذف الجملة وحذف الصفة وحذف جواب الشرط وحذف المضاف وحذف الحروف وغير ذلك من الحذف. وكذلك كلما حذفت كلمة أو جملة من الكلام فلا بد من أن تحذف لغرض من الأغراض البلاغية مع القرينة والدليل.

أهمية الحذف البلاغي في الكلام

الحذف البلاغي منهج واسع وحكيم من مناهج اللغة العربية لا بدليل له ، وبلاغة هذا الأسلوب هي تحريك الشعور ، وتشويق النفس إلى عقبى الكلام كيف تكون ، فيتمكن المعنى فيها لنفوس كاللتمكن ، لأن النفس إذا ظفرت بالشئ بعد انتظارها استقر ذلك الشئ فيها . وقد شاع هذا الأسلوب في القرآن الكريم شيوعاً ، إذ لم تكد تخلو منه سورة من سورته ، والمعاني التي يدل عليها لا حصر لها . فكما ذكر أن الحذف البلاغي في القرآن الكريم كثيرة جداً وينطوي على معاني عميقة يعجز الإنسان عن إيفاء حقها من البيان ، لأن الله تعالى الذي أتقن كل شئ هو أودع المعاني في الآيات فهي من جوامع الكلم .

ثم إن الترابط بين العلوم الشرعية وبين علوم اللغة العربية نشأ منذ صدر الإسلام ، ولا يزال يمتد إلى يومنا هذا . وإنه من شروط المفسر أن يكون عالماً باللغة العربية و أحوالها ، مطلعاً بأسرارها وقوانينها و ينبغي له أن يكون خبيراً بأساليب العرب في الكلام ليتمكن له إيضاح ما فيه خفاء من النصوص . وعليه أن يكون عنده معرفة من أساليب البلاغة ليفرق بين الحقيقة والحجاز وأن يكون عنده ملكة ليستطيع بها من تقدير المحذوف .

فينحصر اهتمام المفسرين عامة والمجتهدين خاصة في تعيين المعنى المراد من النصوص بتفسيرها وتحديداتها من جهة المعنى و من جهة اللفظ ، واختلفت وجهاتهم و مسالكهم في ذلك . ولقد اختلف العلماء في مسائل كثيرة تتعلق باللغة العربية و وضعها ومعانيها و استعمالها . وكان لهذه المسائل أثر كبير في استنباط الأحكام وتعيين المعنى المراد من النصوص ، فنظروا إلى هذه التصريحات تبين لنا أهمية الحذف البلاغي الذي هو مبحث مهم من مباحث البلاغة . ومن يشغل في جمع فوائد الحذف البلاغي . وأثره تطبيقاً في الدراسات القرآنية ليجد الطريقة العلمية والمعايير العميقة التي كانت متحركة في أذهان المجتهدين والفقهاء وبذلك يمكن أن يطمئن القارئ وعابر تراث الفقه الإسلامي أن اختلاف الفقهاء في استنباط الأحكام لم يكن إرضاءً لزعمة شخصية أو تحقيقاً لمطلب

دنيوي بل إنما فعلوه في الله طلبا لرضائه وتتبع سنة رسوله □. وكلما نرى الاختلاف في فهم المعاني و في استنباط الأحكام من الآيات ، ذلك منحصر في وجوه الخفاء في معاني نظم القرآن بين المفسرين و المجتهدين .

وجدير بالذكر أننا نجد في كثير من تراكيب القرآن إيجازا بلاغيا إما على سبيل الحذف، وإما على سبيل الاختصار بدون الحذف ولكننا لانعثر على تركيب من التراكيب يخلو من دليل عليه من لفظ أو سياق ، وبذلك أصبح القرآن معجزة خالدة لأن الإعجاز في الإيجاز نهاية إعجاز .

الفوائد المستفادة من رعاية الحذف في فهم القرآن

فنظرا إلى هذه الوجازة المعجزة للتزليل لا يخلوا من الفائدة أن نطلع على الأثر الذي وقع في آراء المفسرين و الفقهاء من جهة رعاية الحذف البلاغي وعدمها أثناء استنباطهم من القرآن الكريم لأهم موضوع من المواضيع الذي لا يُهمل:

ع- الاستنباط الصحيح للأحكام الشرعية: إن معرفة الحذف البلاغي تساعد كثيرا في فهم النصوص القرآنية وتفسيرها بشكل صحيح عند تطبيقها على النظم القرآني ومن يراعي برعاية الحذف البلاغي خلال دراسة النصوص القرآنية يُحظى بحظ وافر في استنباط الأحكام منها، ومن لم يراعه في استنباطه للأحكام الشرعية أبعد موقفه. هذا أحيانا من الفهم الصحيح أو وقف على الظواهر دون المغزى .

د- تقليل الاختلاف: إن معرفة الحذف تُعد من العناصر التي تخفف من حدة الخلاف في فهم النصوص القرآنية لأن الاختلاف ينشأ كثيرا من سوء الفهم أو عدم الرعاية اللغوية ، فإذا رعاية الحذف البلاغي خلال دراسة النصوص القرآنية تساعد في فهم النصوص فهما صحيحا وبذلك يمكن من تقليل الاختلاف. وإهماله في الدراسات القرآنية يُبعد عن الصواب في كثير من الأحوال.

تقليل الألفاظ و تكثير المعاني: إن دراسة النصوص القرآنية وإبراز معانيها برعاية الحذف البلاغي تبين للطالب والباحث الأغراض السامية التي من أجلها وضع

تركيب الكلام من تكثير المعاني وتقليل الألفاظ و ترشده إلى المقصود بطريق الصواب فيزداد إيماناً أنه كلام خالق الناس المتميز عن كلام المخلوق.

ج- تكشف أسرار القرآن في كل زمان: إن الحذف نوع مهم من نوعي الإيجاز البلاغي و الباحث يجد في كل زمان من الجديد بقدر توفيق الله إياه عند الغوص والإمعان في باب الحذف في القرآن الكريم لأن عجائب القرآن لا تنقطع ، و تتكشف أسرارها في كل زمان لم تكن معروفة من قبل .

ج- الآفاق المتنوعة لإعجاز القرآن: إن في معرفة الحذف البلاغي في القرآن الكريم تعرفاً على محاسنه ومزاياه وهو أمر له أهميته في استمالة القلوب كما سبق ، و أيضاً يفتح آفاقاً جديدة في إعجاز القرآن من جهة الإيجاز.

س- الصقل للعقل: إن الحذف البلاغي في القرآن الكريم يحقق هدفاً تربوياً مهماً من ناحية التنبيه وإتاحة الفرصة للقاريء والمستمع أن يغوص في بحر المعاني وعليه أن يعين المحذوف بالتفكير لأنه في كل موضع من مواضع الحذف نجد فيما قبله أو فيما بعده ما يُعينُ على المحذوف، فإذا لم نجد فيما حوله مُعيناً وجدناه في موضع مماثل من القرآن الكريم وذلك يزيد لذة بسبب تعيين للمحذوف وقال الزركشي: "كلما كان الشعور بالمحذوف أعسر كان الالتذاذ به أشد وأحسن^{١٥}" ، ولعله هذا بعينه ما يحققه الحذف في القرآن الكريم منذ أكثر من أربعة عشر قرناً.

و- رعاية مقتضى الحال: إننا نستطيع أن نقول أن كل حذف في القرآن الكريم إنما كان في الحالة التي ينبغي أن يحذف فيها مطابقاً لما تقتضيه البلاغة في أعلى درجاتها وإذا نجد في بعض مواضع الحذف المحذوف مذكوراً في آية مماثلة فالحق أن المماثلة ليست من كل وجه ، بل بشيء من التدبر نجد اختلافاً ما بين الآيتين مما يبرز الحذف هنا والذكر هناك.